توضيح الصُّورة في مسألة الضّرورة دراسة نقديّة تحليّليّة

Clarification of the picture on the issue of necessity; AnalyticalCriticalStudy

د. حسين الأقرع1، *

1 المدرسة العليا للأساتذة بورقلة / الجزائر.lakraa.houcine@ens-ouargla.dz

تاريخ الإيداع: 2023/04/01 **تاريخ المراجعة:**2023/06/12 **تاريخ النشر:** 2023/06/30

ملخص:

كَثُرَ الجدل حول مسألة الضّرورة الشّعرية؛ أهي عيب أم مزيّة؟ وهل يقع الشّاعر فيها اضطرارا أم عمدا؟ وهل بإمكان مراجعة البيت وتنقيحه أن يُخرجه من حيز الضّرورة، أم أنّ الأمر عصيّ؟ ولهذا جاءت هذه الدراسة لتقف على أهم المسائل وتضعها على طاولة التشريح، وتحصرها بين منهجين لا يقبلان نقدا دون دليل قوي ومتين؛ ألا وهما المنهج المقارن والمنهج التاريخي، يقتنصان أبعاد الصورة ويرسمان حدودها بدقة، ويقفان على أصل اللفظ وطريقة بنائه كما أراده الشاعر أو تصوره الناقد، أو كما رواه الرواة خلاف ما كتبه الشاعر، فهناك من الضرورات ترى أثر الصناعة عليها واضحة، وتجزم يقينا أن الشاعر ما وضعها بهذا البناء، ولكن الرأي يحتاج إلى دليل، والظن لا يبني معرفة، مع العلم أن تفكير الشّاعر يختلف عن تفكير النّاقد، والنّاقد الشّاعر يختلف عنهما معا؛ لأنّه يرى بعين ثالثة، ومن خاض عالم البناء سيكتشف أسراره ولو كانت غير واضحة المعالم لغيره، فيعرف الطبع من الصنعة، ومن حتمية الضرورة إلى وهمها، ومن قلق النّص إلى يقينه.

الكلمات المفتاحية: ضرورة شعرية؛ حذف وزيادة؛ قلب وإبدال؛ تقديم وتأخير؛ عيوب القوافي.

Abstract:

There has been muchcontroversy over the issue of poeticnecessity. Is it a defect or an advantage? Does the poetfallintoit out of necessity or intentionally? Is it possible to review and revise the verse to takeit out of the realm of necessity, or is the matterdifficult? That iswhythisstudy came to highlight the most important issues and confine them to twoapproachesthat do not acceptcriticismwithoutstrong and solidevidence; the comparative approach and the historicalapproach. Thesetwoapproaches seize the dimensions of the image, drawitsbordersaccurately, and stand on the origin of the word and the method of its construction as intended by the poet, as perceived by the critic, or as narrated by the narratorscontrary to what the poetwrote. Somenecessitiesclearlyinvolve the craft of the poet in them and youcanassertwithcertaintythat the poetdid not put them in this construction, but opinion needsevidence, and conjecture does not buildknowledge, knowingthat the poet'sthinkingdiffersfrom the critic'sthinking, and the poet-criticdiffersfromboth of thembecauseheseeswith a thirdeye, and whoevergoesthrough the world of construction willdiscoverits secrets, even if they are not clear to others, soheknows nature from the workmanship, from the inevitability of necessity to its illusion and from the anxiety of the text to itscertainty

Keywords:*poeticnecessity, deletion and addition, conversion and transposition, bringingforward and delaying, rhymedefects*

* المؤلف المراسل.

مقدمة:

كلّما تصفحت أيّ كتاب يتحدث عن ضرورة الشّعر إلا ووجدت بعض الضّرورات لا تستند إلى حجّة؛ ومن ينظم الشّعر يعي هذا الحكم، فبين الوهم والحقيقة ظُلم كثير من الشّعراء، والحقيقة أنّ الشّاعر النّاقد ليس كالنّاقد؛ فالرّؤية تختلف، لتمكن الأوّل من ناصية البناء، وقد يكون الثّاني أبلغ ذوق من الأوّل، ولكنّأسرار اللّغة غير محدودة، فيتِيه فيها الأوّل والثّاني، والضّرورة من أسرار اللّغة الشّعريّة، من هنا أردت أن أضع الميزان لنتف منها لتوضيح الصّورة.

أولا: مفهوم الضّرورة الشّعريّة:

يُجمع أهل الرّأي في أغلب كتبهم على أنّ الضّرورة الشّعريّة "هي رخص منحت للشّعراء كي يخرجوا بها عن بعض قواعد اللّغة، لا قواعد الوزن والقافية، عندما تَعْرضُ لهم كلمة لا يؤدِّي معناها في موقعها سواها".[1] وبمفهوم آخر: " الضّرورة في الشّعر هي الاستعمال الذي يلجأ إليه الشّاعر ويكون مخالفا لمقاييس اللّغة وأصول النّحو الجارية، وجمعها أيضا ضرورات. ولم نجد قبل القرن الخامس من جمعها على "ضرائر". والضّرائر جمع ضرّة وهي إحدى زوجات الرّجل."[2]وأرى أنّ الضّرورة قد تتجاوز قواعد اللّغة لتشمل الوزن؛ كما وقع في قول الرّبيع بن زياد العبسي: (الكامل)

أفَـبَعْدَ مَقْتَـلِ مَــالِكِ بْـنِ زُهَـيْرٍ * تَـرْجُو النِّسَـاءَ عَوَ اقِـبَ الأَطْـهَارِ**[3]

فدخل عروض البيت القطع؛ فتحولت (مُتَفَاعِلُنْ) إلى (مُتَفَاعِلْ)، وفي مثل هذه الأسماء لا يصلح التبديل، وإلا أُلْغِزَ البناء. أما ما تعلق بقواعد اللغة من الرخص فهو عند الشعراء يعني الكمال في أغلبه وليس خطأ؛ لأنهم يريدون وجها من وجوه العربية؛ وهذا ما أقره حتى سيبويه حين قال: " وليس شيء يضطرون إليه؛ إلا وهم يحاولون به وجها. " [4] وقد يجنحون إلى الشاذ خلاف القاعدة؛ "لأن الشاذ ما يكون وجوده كثيرا ولكن يكون على خلاف القياس، والقليل ما ينحصر وجوده على القياس على وجه القلة."[5] وليس كل ما طُعن فيه يدخل ضمن العيوب، فربما يكون جائزا لعلل تغيبت عن الناقد، أو لوهم أعاد فيه النظر لو نُبِّه عليه،[6] وهذا "ابن أبي سعد قال: قال ابن نوفل: سمعت أبي يقول لأبي عمرو بن العلاء: أخبرني عمَّا وضعت مما سميته عربية، أيدخل فيها كلام العرب كلّه؟ فقال: لا، قلت: كيف تصنع فيما خالفتْك فيه العرب وهم حجَّة؟ قال: أعمل على الأكثر، وأسمّي ما خالفني لغات."[7] فحقيقة الأمر " أن اللغة قد تحوّلت إلى صناعة يحتكرها النّحّاة ويفرضون من خلالها ما شاؤوا من استعمالات وتراكيب على المتكلمين باللغة؛"[8] وللعلم فإن صناعة الشعر تأخذ منحى مختلفا عن النثر في كثير من تراكيبه، فيتحتم التأويل؛ ومن هذا قول الكَلْحَبَة العُرَنِيّ (اليربوعي): (الوافر)

هيَ الفرسُ التي كَرَّت عليهم * عَليها الشيخُ كالأَسدِ الكلِيمُ**[9]

فالكليم مرفوعة وهي صفة للشيخ وليس للأسد، ولو كانت للأسد لتَمّ جرّها، مع أن الإرباك يحدث للقارئ بتأخير الصفة بحكم البناء وحتمية القافية، لكن الغريب في ذلك أن ابن جني يُجيز لفظ (الكليم) بالجر والرفع[10]؛ وما أورده المحقق في تعريفه لكتاب الخصائص قوله: " ولو كان ذاكرا للقصيدة التي فيها هذا الشطر (**عَليها الشيخُ كالأَسدِ الكلِيمُ**) ما قال هذا القول؛ والقصيدة مفضّلية مرفوعة الرّوي."[11] والجر يُدخل البيت في عيب الإقواء.[12]

من هذا الباب لا يجب الوقوف على رأي واحد وإلا لحسبنا البيت فيه إقواء إذا وقفنا على رأي ابن جني بإجازة الجر، والبيت سليم القافية صحيح الإعراب.

وكذلك ما شاع عن الإقواء في قول حسان بن ثابت .ﷺ: (البسيط)

لا بَأْسَ بِالقـوْم مِنْ طُولٍ ومـن عِظَمٍ * جِسْـمُ البِغَـال وأحْـلامُ العَصَـافِيرِ**

ثم قال:

كَأَنَّـهُـمْ قَصَـبٌ جُـوفٌ أَسَافِلُـهُ * مُثَقَّـبٌ نَفَخَـتْ فِيـه الأعاصيرُ**[13]

فخفض في الأول ورفع في الثاني. ويقول الأخفش: " وقد سمعت هذا من العرب كثيرا لا أحصي، وقلَّت قصيدة ينشدونها إلا وفيها إقواء ثم لا يستنكرونه لأنَّه لا يكسر الشعر، وأيضا فإن كل بيت منها كأنّه شعر على حياله."[14]

ففي حقيقة الأمر ما ورد في الديوان خلاف ما شاع بين الدارسين؛ فقد كان البناء:

كَأَنَّـهُـمْ خشـبٌ جُـوفٌ أَسَافِلُـهُ * مُثَقَّـبٌ فِيـه أرواح الأعاصيـرِ**[15]

ولعلّ الرواية سبب هذه الضرورة، وفي حقيقة الأمر الحديث عن الرواية والروّاة يحتاج بحثا خاصا.

ثانيا: ما تحتمل الضرورة ...

زيادة حركة:

قال أبو كبير، عامر بن الحُلَيْس: (الكامل)

مِمَّا حَمَلْنَ بِهِ وَهُنَّ عَـوَ اقِدٌ * حُبُكَ الثِّيابِ فَشَبَّ غَيْرَ مُثَقَّلِ**[16]

الشَّاهد هنا صرف (عواقد) وهي لا تنصرف؛ لأنّها صيغة منتهى الجموع على وزن (مفاعل)؛ والظّاهر عند أغلب النّقّاد إنّما نُوِّنَتْ للضّرورة، وحقيقة الأمر أنه ردّ الاسم لأصله؛ لأن أصل الأسماء الصّرف، والدّليل الثّاني: " إنّ ما لا أصل له في التّنوين لا يجوز للشّاعر تنوينه للضّرورة[...] كتنوين الفعل؛ إذْ كان أصله غير التّنوين"[17]، وفوق كل هذا لو تم اعتماد القراءات القرآنية الأخرى خلاف رواية حفص للاحتجاج كرواية ورش مثلا لزال كثير من اللبس، فلو نظرنا إلى قوله عزّ وجل : ﴿**إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَسَلَٰسِلَاوَأَغْلَٰلًاوَسَعِيرًا (4)** ﴾[18] ، والمعلوم أن ما جاء على وزن مفاعل لا يُنوّن، وقد نُوِّن هنا، وكذلك ما جاء على وزن مفاعيل؛ وقد نُوِّن كما في قوله تعالى: ﴿**وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا (15) قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (16)**﴾[19]، فلو سألت أهل النظر سيقولون: ما وقع في الآيتين تناسب! وما وقع في بيت عامر ضرورة! و"لم يغب عنهم أنهم سيسألون عن الفرق بينه وبين الضرورة إذ أمرهما في الظاهر واحد؟"[20]والأصوب ما كان في القرآن وعمل به الشاعر يخرج من حيز الضرورة؛ فهو اللغة الأسمى والمنبع الصافي، والمصدر الأول للاحتجاج.

1- نقص حركة:

يقول سيبويه: "وزعم عيسى أن بعض العرب يُنشِد هذا البيت لأبي الأسود الدؤلي:[21] (المتقارب)

فألفيتُه غيرَ مستعتبٍ * ولا ذاكرِ اللهِ إلا قليلا**[22]

ولم يحذف التنوين استخفافًا ليعاقب المجرور، ولكنه حذفه لالتقاء الساكنين، وهذا اضطرارٌ "[23]، وهو حتميّ وليس يخلو النثر منه.

أما ما يتعلق بنقص حركة كما ذُكر من باب من أجاز حذف الإعراب من الحشو؛ مثل قول امرئ القيس: (السريع)

فاليومَ أشربْ غيرَ مستحقبٍ * إثماً من الله ولا واغلِ**[24]

حذف الإعراب من (أشربُ)، وهو فعل مستقبل حقّه أن يكون مرفوعا وفعل هذا فيه ما يفعل في الحركات التي تحذف استثقالا وليس بإعراب، ومن أنكره رواه ((فآشربْ)) على الأمر لنفسه))" [25]؛ " وزعم قوم أن الرّواية الصحيحة في قول امرئ القيس: " اليوم أسقى"[26]. وسواء كان " أشربْ" أو "آشربْ" فالعجلة تجلب الخطأ، وقد يكون وهما جلبه الرواة؛ والرواية الصحيحة هي: "أسقى".

2- زيادة حرف:

كقول عنترة العبسي: (الكامل)

يَنْبَاعُ مِنْ ذِفْرَى غَضُوبٍ جَسْرَةٍ * زَيَّافَةٍ مِثْلَ الفَنِيقِ المُكْدَمِ**[27]

وكثير من أهل النّقد يقلّدون أولّ رأي قيل في لفظ ((ينباع))؛ فقالوا:" يريد ((ينبع))، فأشبع الفتحة فصارت ألفا."[28] ولكن ابن الأعرابي له رأي مختلف؛ حيث قال:" ينباع ينفعل، من باع يبوع، إذا مرّ مرّا ليّنا فيه."[29] وهنا نقف على مسألة الحكم القاطع بالضرورة! مع أن التفسير المختلف أثبت لا ضرورة. وهذا مثله قول الفرزدق: (البسيط)

تَنْفِي يَدَاهَا الحَصَى فِي كُلِّ هَاجِرَةٍ * نَفْيَ الدَّرَاهِيمِ تَنْقَادُ الصَّيَارِيفِ**[30]

فزاد ياء في ((الدّراهم))، وياء في ((الصّيارف)) إن لم تكن الرواية تختلف، أن ((الدراهم)) لا يُضطرّ فيها إلى زيادة الياء؛ إذ كان الوزن يقوم دونها،"[31]وحتى ((الصَّياريف)) فقد قيل: الرواية ((تنقاد الدنانير))؛[32] وكأن بهذا البيت قد وُضع لإثبات ضرورة، وهي في الواقع لا أصل لها.

3- نقص حرف:

كقول زهير بن أبي سلمى: (الطويل)

خُذُوا حَظَّكُمُ يَا آلَ عِكْرِمَواذْكُرُوا * أَوَاصِرَنَا وَالرَّحْمُ بِالغَيْبِ تُذْكَرُ**[33]

فحذف الهاء من عكرمة وأبقى الميم على حالها، فسيبويه وغيره من المتقدمين البصريين والكوفيين يجيزون ترخيم المضاف، وفي هذه الحال لا ضرورة عند حذف حرف.[34]

أما ما تقع فيه الضرورة كقول علقمة بن عبدَة: (البسيط)

كَأَنَّ إِبْرِيقَهُمْ ظَبْيٌ علَى شَرَفٍ * مُفَدَّمٌ بِسَبَا الكَتَّانِ مَلْثُومُ** [35]

أراد: بسبائب الكتّان."[36] وهنا اختيار البحر وطول القصيدة يفرضان الضرورة؛ وبإمكان الشاعر أن يعيد التركيب فيخرج من الضرورة، ولكنه سيقع في زحاف مكروه.

4– زيادة كلمة:

كقول الشاعر: (البسيط)

الحبّ في الله أنفـاس مؤجّلة * قد قلتها سلـفا قد كان من حظي**[37]

فزاد ((قد كان)) اضطرارا، مع أنه يمكن تغييرها بسهولة وتجنب تكرار قد، والظاهر أنه قصد الزيادة من أجل التقريب والتّوقع زيادة على التّحقيق، فذهب مذهبا بلاغيا، وبهذا تصير الضرورة غير موجودة بحكم إمكانية التغيير ولم يغير.

5- نقص كلمة:

ومن أمثلة نقص كلمة، كما قال ذو الرمة:[38] (الطويل)

فظلّـــوا ومنهـــم دمعه غـــالب له * وآخر يجـــري دمعة العيـن بالمهـل**[39]

" يريد: ((ومنهم من دمعه غالب له)) ، فحذف ((مَن)) مع ((مِنْ))، لأنّ في الكلام دليلا عليها.[40] وهذا ليس اضطرارا لوجوده في غير الشعر؛ كقوله تعالى: ﴿**وَمَا مِنَّا إلاّ لَهُ مَقَامٌ مَعْلُوم** 164﴾[41]، والمعنى: وما منّا إلاّ من له مقام معلوم ، فحذف ((من)) لمّا كان سياق الكلام يدلّ على حذفها" [42] والشعر موضع اختصار واقتصار وتكثيف[43]

6- زيادة جملة:

كقول حسان بن ثابت: (الكامل)

وتكادُ تكسلُ أن تجيء فراشها * في لينِ خَرعَبَةٍ وَحُسنِ قَوامِ**[44]

يريد: وتكسل أن تجيء فراشها؛ لأنّ المرأة إنّما توصف بالكسل لا بمقاربته،"[45] وفي هذا حجر للبلاغة؛ فالشاعر أراد قرب حدوث حالة الكسل لعلامات بادية ولم يقع الكسل بعد، وتوهم إضافة فعل المقاربة على سبيل الضرورة غير منطقيّ .

7- نقص جملة:

كقول ابن هرمة: (الكامل)

اِحفظْ وديعتك التي استودعتها * يوم الأعازب إن وصلت وإن لمِ**[46]

والشاهد حذف مجزوم لم؛" فحذف جملة الفعل والفاعل،"[47] وهنا وقع الحذف، مع أن القارئ للبيت يدرك اللفظ المحذوف؛ وذكره من عدمه لا يؤثر، فالشاعر بعيدا عن ضرورة القافية التي قد يراها بعض النّقاد فقد استعمل تنغيم الوقف بحذف جملة الفعل والفاعل ليحدث نوعا من التنبيه يغفل عنه من ركّز على اللفظ لا المعنى.

8- التقديم والتأخير:

نعلم يقينا"إنَّ التَّقدِيمَ هُوَ وَضعُ الكَلامِ فِي غَيرِ مَوضِعِهِ الَّذِي يَجِبُ أنْ يُوضَعَ فِيهِ، والَّذِي لا يَحسُنُ فِي الكَلامِ غَيرُهُ، ويُقدِّمُ ما حَقُّهُ التَّأخِيرُ، ويُؤخِرُّ ما حَقُّه التقدِيمُ، وأكثَرُ ما يَجرِي ذلِكَ فِيما لا يُشكِلُ مَعناهُ، فرأينا تقديمَ الخبرِ علَى المُبتدأِ، والمفعولِ به علَى الفَاعِلِ، وتأخيرِ الخبرِ، وهذِهِ الحالاتُ جاءَتْ فِي الشِّعر ضَرُورةً."[48] مع أن هناك تقديما وتأخيرا عُدّ من الضرورة وهو ليس منها في بعض الشواهد الشّعريّة، كقول الشّاعر:[49] (الوافر)

كـما خـطّ الكـتاب بكـفّ يـــوما * يهـــوديّ يقـــارب أويزيـل**[50]

"يريد: بكفّ يهوديّ يوما، فقدّم الظرف وفصل به بين المضاف والمضاف إليه." [51] " فقد أجاز النحويون التفريق بين المضاف والمضاف إليه في الشعر بالظرف لأنّه لا يفصل، فأمّا بالأسماء غير الظروف فلحن،"[52] ويظهر ربط الجواز هنا في الشعر ، بحكم أنّ العرب استعملته كثيرا في أشعارها، فهذا سيبويه يقول: " ولا يجوز: يا سارقَ الليلةَ أهلِ الدّارِ، إلاّ في شعر ، كراهية أن يفصلوا بين الجار والمجرور."[53] ومن رفض الفصل بين المضاف والمضاف إليه بحكم انهما شيء واحد، وما تم الاستشهاد به من شعر لا يُعرف قائله، ولكن لنتجاوز الشعر، فأنا مع من يرى أن مثل هذا الفصل لا يختص بالاضطرار لحديث النبيّ ﷺ .: ((... فَهلْ أنتُمْ تَارِكُوا لي صَاحِبِي؟..))[54]، "وفي كلام بعض من يوثق بعربيته: ترك يومًا نفسك وهواهاسعي لها في رداها، ففصل في الاختيار بالظرف، فعلم أنّ مثله لا حجر على المتكلم به ناظما أو ناثرا."[55] ولهذا فالفصل جائز ولا ضرورة .

أما ما يقع من الضرورة كقول الشّاعر: (البسيط)

لَمَّا رَأَى طالِبُوهُ مُصعَبَاً ذُعِرُوا * وكَادَ، لَوْ سَاعَدَ المَقدُورُ، يَنتَصِرُ**[56]

"خبر كاد لم يقترن بأن، وهي جملة (ينتصر)،"[57] و وحقُّه أن يتقدَّمَ على الجملة الاعتراضية " لو ساعَدَ المقدُورُ[58]." وهذا في شعر كثير بحكم أن القافية رائية فاضطر إلى تأخير خبر كاد.

9- إبدال الحرف من الحرف:

كقول سويد بن أبي كاهل اليَشْكُريّ: (البسيط)

لَهَا أَشَارِيرُ مْنْ لَحْمٍ تُتَمِّرُهُ * مِنَ الثَّعَالِي وَوَخْزٌ مِنْ أَرَانِيهَا**[59]

أراد (من الثعالب) و(من أرانبها)[60]، وبحكم أنّ القافية يائية اضطر إلى استبدال الباء في أرانبها، أما الثعالب فيمكن الإبقاء على الباء مع تعديل الكلمة التي بعدها ويتجنب الضرورة، لكن الظاهر أن الشّاعر ذهب إلى أبعد من ذلك حين استبدل الباء في الثعالب ليكون هناك تناسب نغمي مع (أرانبها)، فكثافة الصّوت في الاستبدال أبلغ، وفي النّغم أمتع.

10- إبدال كلمة بكلمة:

كقول زهير: (الطويل)

فَتُنْتِج لَكُمْ غلْمانَ أشأمَ كلّهمْ * كَأَحْمَرِ عادٍ ثُمّ تُرضِع فَتَفْطِمِ**[61]

فأبدل اسما باسم، "فقال الأصمعيّ وغيره من أهل اللغة: إنّه غلِطَ في قوله: (أحمر عاد)، وإنّما هو (أحمر ثمود) الذي عقر النّاقة."[62] فالنّاظر إلى نقد الأصمعي وبعض أهل اللغة يحكم بالحجة الدامغة؛ وهذا من العجلة في الحكم، فمهما كانت مكانة النّاقد فالواجب التريّث، ومهما بلغت الحجّة فهناك ما هو أبلغ وأحجّ؛ لأنّ "بعض أهل اللغة يسمون ((ثمودَ)): ((عاداً الآخرة))، وتسمي قوم هود ((عادا الأولى))،[63] ومن هنا يكون قول زهير صحيحا، فلا ضرورة فيه .

11- تأنيث المذكر وتذكير المؤنث:

يقول الأعشى: (الطويل)

وتَشرَقَ بالقولِ الذي قد أذعتَهُ * كما شَرِقَت "صدرُ" القناةِ من الدمِ**[64]

يعد كثير من النّحويين تأنيث المذكر المضاف إلى مؤنث ضرورة؛ كما وقع في بيت الأعشى؛ والصواب أن يقول: "شرق صدر القناة"، لأنّ الصدر مذكر والفعل له، ولكن الوزن حتّم التأنيث، ويرى أبو العباس تجويزه في غير الشعر، كقولنا: (ذهبت بعض أصابعه)،[65] ومن هنا يخرج التركيب من الضرورة لوجود شواهد نثرية.

12- من ضرورات القوافي:

"كثيرًا ما يعجِز الشاعر في أن يجد الكلمة المناسبة للقافية، فيضطرُّ إلى استعمال كلمة قد لا تفي بالمعنى، أو ينحت كلمة أخرى، أو يشتق غيرها، فيجمع جمع تكسير غير مألوف، أو يضع حركةً مكان أخرى، أو قد يُغيِّر في بناء الجملة"[66]؛ وهذا ما لمسناه في قول الحطيئة حين قال: (البسيط)

فيه الرِّماحُ وفيه كُلُّ سابِغَةٍ * جَدلاءَ مُهَمَةٍ مِن نَسجِ سَلّامِ**[67]

"أراد سليمان .عليه السلام ."[68]، وبحكم أن القافية ميمية، وسليمان يعني رجل السّلام؛ فأخذ المعنى وترك الاسم لتستقيم القافية.

ومن الضرورة ما شاع كقول إبراهيم بن هرمة: (البسيط)

و أَنَّنِي حَوْثُما يَشْري الهَوَى بَصَرِي * مِن حَيثُما سَلَكُوا أَدنُو فأنظُورُ**[69]

فأراد ((أنظر))؛ فأشبع الظاء فنتجت الواو ليستقيم الوزن، ويحافظ على نفس القافية، وقد تكون خلاف ما توهمناها وقصد الشاعر ((انْظَور))؛ وهو العاطفة على غير الولد كما جاء في قصيدة الشريف الرضي قوله: (الوافر)

نُعَانِقُ فيه أَبْكَارَ المنَايا * وَهُنَّ لغَيْرِ أَنْفُسِنَا ظُوَارُ**[70]

والعالم بالبناء يدرك أن القافية أصعب ما يشغل الشاعر وتكرارها بنفس اللفظ عيب، والشّعراء يتفاخرون باختيار الأصعب من القوافي، وإذا طالت القصيدة وقع الشاعر في صرف بعض القوافي خلاف القياس، أو أتى بها على سبيل الحشو، أو تكون مخلّة للمعنى، وهذا ما نراه في بعض بناء الشّعراء المعاصرين، ولنقف على أبيات للشاعر رضا الهاشمي حين يقول: (الطويل)

سلام على سبعين جنـــدٍ من الهوى * تفانوا فماتوا قبل لقياكم جنـــدي**
سلام على أموات شوقي من الجـــفا * ودمع جرى فيهم من اللحد للحـــد**
فكم من صفاء القلب يوما سقيتكم * وأوردتكم روحي من الورد للـــورد**
وقد كنتم مجدي و عزي بقـــــربكم * فلا بعدكم قد دام عزي و لا مجدي**
إذا قرأت أم الخفـــــــوق رسالتي * سيبدو لها ما كنت أخـفي ولا أبدي**
سلام على ثغر بلا حمـــــــرة بدى * من الـــــــورد ورديا زهيا بلا ورد**[71]

حيث نلاحظ اقحاما غير موفق للقافية، وتكرارا أفسد جو القصيدة، وحشوا هو في غنى عنه، رغم براعته في بناء الصدور، وأربكت القافية الأعجاز. وهذا شكل يتوهمه بعضهم ضرورة وما هو بضرورة، بحكم أنّ الضرورة تأتي عند غياب المنفذ وليس ضعف الشّاعر سببا في اعتماد الضرورة.

يقول الحاتمي: " على الشّاعر أن يتأمّل الغرض الذي يرميه فكره، فينظر مع أي القوافي يكون أشدّ اطرادا، فيكسوه أشرف معارضة، ويبرزه في أسلم عباراته."[72] ولهذا نرى من الشعراء من يختار قافية صعبة البناء؛ فتجده يلوي عنق اللغة لتحقيق وزن على حساب المعنى وأصل الكلمة.

الخاتمة:

الماهر في البناء يرى أغلب ما عُدّ ضرورة ليس بضرورة لو لم تكن هناك عجلة، ولو دخل البناء مرحلة التنقيح لوجد الشاعر بديلا، مع أن هناك ضرورات يُحتّمها اختيار البحر أو القافية، فلو كانت في بحر آخر لسهل تجنبها، ولا ننكر أنّ بعض البناء ليس بضرورة ويراه النّقاّد ضرورة؛ لِعِلَل قد غابت عنهم، أو تعصب منهم لرأي كما هو الحال بين البصريين والكوفيين في بعض المسائل، وأميل إلى حقيقة وَهْم بعضها؛ لعدم تنقيح كما سبق أو سوء تأويل، ولمعرفة الوهم من الحقيقة والضرورة من عدمها وجب قبل عرض البناء تنقيحه وإن تحتم الأمر عرضه على أهل الدراية قبل نشره، وأن لا ينقد الناقد حتى يكون له علم بلهجات العرب وثقافاتهم، وهو عالم بالبناء؛ فللشعر أسراره ومن المستحيل أن يدركه من لا ينظمه مهما برع.

من أجل هذا وجب إرشاد الشّاعر قبل النّاقد إلى عدم إطالة القصيدة فوق ما تتحمّل، وأن يترك الموضوع من يحدّد البحر حتى يسهل البناء، وأن يختار قافية تستقطب المعنى فلا يقع في الحشو، وبعد كل هذا أن يلتزم المراحل الخمس في البناء حتى لا يقع في ضرورة هي أقرب منها للخطأِ وليس لوجه من وجوه العربية؛ وتتمثل المراحل في:

1- مرحلة المثير والتّصوّر: وهي أن يجعل الصورة الواقعية أو الخيالية تثيره، فلا يُكره نفسه على كتابة القصيدة؛ فتكون نظما لا شعرا.

2- مرحلة التّفكير والإعداد: تحديد موضوع القصيدة وأبعادها، وقد يكتبها نثرا قبل أن يحوّلها شعرا.

3- مرحلة الشّروع في النّظم: وسأكتفي بعرض رأي ابن طباطبا لتوضيح القصد؛ حيث يقول: "ومن حُسن الصّناعة ينبغي للشاعر أن يتجنّب الإشارات البعيدة، والحكايات الغَلِقَةِ، والإيماء المشكل، ويتعمَّد ما خالف ذلك، ويستعمل من المجاز ما يُقارب الحقيقة، ولا يبعد عنها، ومن الاستعارات ما يليق بالمعاني التي يأتي بها."[73]

4- مرحلة التّأليف والتّنسيق: وهي مرحلة البناء الحقيقي للقصيدة، فيحسن التركيب والتصوير، وما يتقدّم وما يتأخّر.

5- مرحلة التّنقيح: وهي آخر مرحلة في البناء؛ فيعيد قراءة القصيدة أكثر من مرّة ـ وهذا ما يسمى بالنّقد الذّاتيّ ـ، وقد يعرضها على من هو أمهر منه، أو يعتمد نقد الجماهير كما فعله كثير من الشعراء قديما وحديثا،والحال أوضع في نقد الجماهير من خلال مواقع التّواصل الاجتماعي.[74]

قائمةالمصادروالمراجع:

1- القرآن الكريم بروايتي ورش وحفص.

الكتب:

2- ابن رشيق، العمدة، تح، النبوي عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة، 2000.

3- ابن طباطبا، عيار الشّعر، تح، عباس عبد الساتر، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005.

4- ابن عصفور الإشبيلي، ضرائر الشعر، تح، السيد إبراهيم محمد، ط1، دار الأندلس، القاهرة، 1980.

5- ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ط20، دار التراث، القاهرة، 1980.

6- ابن مالك، جمال الدين محمد بن عبد الله، شرح التسهيل لابن مالك، تح، عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، ط1، دار هجر، الجيزة، 1990.

7- ابن منظور، لسان العرب، ط6، دار صادر، لبنان، 2008.

8- أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تح، محمد علي النّجار، دار الكتب المصرية، (د.ط)، مصر، (د.ت).

9- أبو سعيد السيرافي، ضرورة الشعر، تح، رمضان عبد التواب، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، 1985.

10- الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، تح، جودة مبروك محمد مبروك، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2002.

11- بدر الدين محمود بن أحمد العيني، ملاح الألواح في شرح مراح الأرواح، تح، عبد الستار جواد، مجلة المورد العراقية، عدد2، 1975.

12- الحاتمي، محمد بن الحسن، الرّسالة الموضّحة في ذكر سرقات أبي الطّيب المتنبّي وساقط شعره، تح، محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، 1965.

13- الخطيب التبريزي، أبو زكريا يحيى، شرح القصائد العشر، تح، عبد السلام الحوفي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1997.

14- سيبويه، الكتاب، تح، عبد السّلام محمّد هارون، ط3 مكتبة الخانجي بالقاهرة، 1988 م .

15- القزاز القيرواني، ما يجوز للشاعر في الضرورة، تح، المنجي الكعبي، الدار التونسية للنشر، ط1، تونس، 1971.

16- مجدي وهبه وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ط2، بيروت 1984 .

17- محمد بن الحسن الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط2، مصر، 1984.

18- محمد عوني عبد الرؤوف، القافية والأصوات اللغوية، مكتبة الخانجي، مصر، (د.ت).

19- مراجع عبد القادر بالقاسم الطلحي، الجواز النحوي ودلالة الإعراب على المعنى، جامعة قار يونس، (د.ط)، ليبيا، (د.ت).

20- المفضليات، المفضل بن محمد بن يعلي الضبي، تح، أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط6، مصر، 1979.

21- المنجي الكعبي، القزاز القيرواني .حياته وآثاره ،. مطبعة تونس قرطاج، ط2، تونس، 2009.

22- النحاس، أحمد بن محمد، إعراب القرآن، تح، خالد العلي، ط2، دار المعرفة، بيروت، 2008.

الدواوين الشّعريّة:

23- إبراهيم بن هرمة ، الديوان،تح، محمد جبار المعيبد، ط1، مطبعة الآداب، العراق، 1969.

24- أبو الأسود الدؤلي، الديوان، تح، الشيخ محمد حسن آل ياسين، ط2، دار الهلال، بيروت، 1998.

25- أبو كبير، عامر بن الحليس، ديوان الهذليين، تح، أحمد الزين، محمود أبو الوفا، دار الكتب المصرية، 1965.

26- الأعشى الكبير، ميمون بن قيس: الديوان، تح، محمد حسين، ط1، مكتبة الآداب بالجماميزت، (د.ت).

27- حسان بن ثابت،الديوان، تح، عبدأ مهنّأ، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994.

28- الحطيئة، الديوان،تح، مفيد محمد قميحة، ط1، دار الكتب العلمية .بيروت، 1993.

29- زهير بن أبي سلمى: الديوان، تح، علي حسن فاعور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988.

30- الشريف الرضي، الديوان،تح، محمود مصطفى حلاوي، ط1، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، 1999.

31- عنترة بن شداد، ديوان عنترة، تح، محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، القاهرة، (د.ت).

الرسائل الجامعيّة:

32- حسين الأقرع، بناء القصيدة في النقد المغربي القديم (أطروحة دكتوراة)، إشراف، مشري بن خليفة، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2020.

مواقع الأنترنيت:

ملتقى الأدباء والمبدعين العرب، http://www.almolltaqa.com/vb/index.php

منابر ثقافية، ملتقى المثقّفين العرب، https://www.mnaabr.com/vb/forumdisplay.php?f=5

الموسوعة الشعرية، دائرة الثقافة والسياحة، أبو ظبي، https://poetry.dctabudhabi.ae/#/about-us

موقع الألوكة الأدبية واللغوية، https://www.alukah.net/

هوامش وإحالات المقال

[1]- مجدي وهبه وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ط2، بيروت 1984، ص 230 .

[2]. المنجي الكعبي، القزاز القيرواني. حياته وآثاره.، مطبعة تونس قرطاج، ط2، تونس، 2009، ص 124.

[3]. الربيع بن زياد العبسي، الديوان، الموسوعة الشعرية، دائرة الثقافة والسياحة، أبو ظبي، تم الاطلاع بتاريخ، 2021/07/22.https://poetry.dctabudhabi.ae/#/diwan/poem/20803

[4].سيبويه، الكتاب، تح، عبد السّلام محمّد هارون ، ط3 مكتبة الخانجي بالقاهرة، 1988 م. ج 1، ص 32 .

[5]. بدر الدين محمود بن أحمد العيني، ملاح الألواح في شرح مراح الأرواح، تح، عبد الستار جواد، مجلة المورد العراقية، عدد2، 1975، مجلد 4، ص 211.

[6]. ينظر القزاز القيرواني، ما يجوز للشاعر في الضرورة، تح، المنجي الكعبي، الدار التونسية للنشر، ط1، تونس، 1971، ص 24.

[7]. محمد بن الحسن الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط2، مصر، 1984، ص 39.

[8]. مراجع عبد القادر بالقاسم الطلحي، الجواز النحوي ودلالة الإعراب على المعنى، جامعة قار يونس، (د.ط)، ليبيا، (د.ت)، ص 31.

[9]. البيت للشاعر الكلحبة العرني، وقد ورد في كتاب المفضليات، المفضل بن محمد بن يعلي الضبي، تح، أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط6، مصر، 1979، ص 33.

[10]. ينظر أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تح، محمد علي النّجار، دار الكتب المصرية، (د.ط)، مصر، (د.ت)، ج1، ص 13.

[11]. المرجع نفسه، ج1، ص 53.

[12]. ينظر مراجع عبد القادر بالقاسم الطلحي، الجواز النحوي ودلالة الإعراب على المعنى، ص 33.

[13]. حسان بن ثابت،الديوان، تح، عبدأ مهنّأ، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994، ص 129. وينظر ابن منظور، لسان العرب، ط6، دار صادر، لبنان، 2008، ج12، ص 229. (مادة قوا)

[14]. ابن منظور، لسان العرب، ج12، ص 229. (مادة قوا)

[15]. حسان بن ثابت، الديوان، ص 129.

[16]. أبو كبير، عامر بن الحليس، ديوان الهذليين، تح، أحمد الزين، محمود أبو الوفا، دار الكتب المصرية، 1965، القسم الثاني، ص 92.

[17]. أبو سعيد السيرافي، ضرورة الشعر، تح، رمضان عبد التواب، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، 1985، ص 40.

[18]. الإنسان، الآية 4 .

[19]. الإنسان، الآية 15، 16 .

[20]. المنجي الكعبي، القزاز القيرواني. حياته وآثاره، ص 168.

[21]. سيبويه، الكتاب، ج1، ص 169.

[22]. أبو الأسود الدؤلي، الديوان، تح، الشيخ محمد حسن آل ياسين، ط2، دار الهلال، بيروت، 1998، ص 54.

[23]. سيبويه، الكتاب، ج1، ص 169.

[24]. امرؤ القيس: الموسوعة الشعرية، https://poetry.dctabudhabi.ae/#/diwan/poem/1927

[25]- القزاز القيرواني : ما يجوز للشاعر في الضرورة، ص 105 .

[26]- ابن رشيق : العمدة، ج2، ص 276 .

[27].عنترة بن شداد، ديوان عنترة، تح، محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، القاهرة، (د.ت)، ص 204. في الديوان: ((حُرَّة)) بدلا من ((جَسْرَة))، و((المُقْرَم)) بدلا من ((المُكْدَم)).

[28].القزاز القيرواني، ما يجوز للشاعر في الضرورة، ص 97.

[29].الخطيب التبريزي، أبو زكريا يحيى، شرح القصائد العشر، تح، عبد السلام الحوفي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1997، ص 230.

[30].البيت يُنسب للفرزدق، ولم أقف عليه في ديوانه.

[31].ابن رشيق، العمدة، تح، النبوي عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة، 2000، ج2، ص 1064.

[32].القزاز القيرواني، ما يجوز للشاعر في الضرورة، ص 97.

[33].زهير بن أبي سلمى: الديوان، تح، علي حسن فاعور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988، ص 57.

[34].ينظر الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، تح، جودة مبروك محمد مبروك، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2002، ص 295. وينظر أبو سعيد السيرافي، ضرورة الشعر، ص 84.

[35].البيت لعلقمة بن عبدة، المعروف بعلقمة الفحل؛ كتاب أحمد صقر: شرح ديوان علقمة الفحل، ط1، المطبعة المحمودية، القاهرة، 1935، ص 69.

[36]. أبو سعيد السيرافي، ضرورة الشعر، ص 89.

[37].حسين الأقرع،ندوب خجلة، منابر ثقافية، تم الاطلاع بتاريخ: 2023/03/30:https://www.mnaabr.com/vb/showthread.php?t=30653

[38] - القزاز القيرواني، ما يجوز للشاعر في الضرورة، ص 166 .

[39].ذو الرمة، الموسوعة الشعرية، تم الاطلاع بتاريخ: 2023/03/30:https://poetry.dctabudhabi.ae/#/diwan/poem/12333

[40] - القزاز القيرواني، ما يجوز للشاعر في الضرورة، ص 166 .

[41]- الصافات، الآية 164 .

[42] - القزاز القيرواني، ما يجوز للشاعر في الضرورة، ص 167 .

[43].ينظرحسين الأقرع، بناء القصيدة في النقد المغربي القديم (أطروحة دكتوراة)، إشراف، مشري بن خليفة، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2020، ص 227.

[44].حسان بن ثابت،الديوان، ص 214.

[45].ابن عصفور الإشبيلي، ضرائر الشعر، تح، السيد إبراهيم محمد، ط1، دار الأندلس، القاهرة، 1980، ص 79.

[46].إبراهيم بن هرمة،الديوان، ص 201.

[47].ابن عصفور الإشبيلي، ضرائر الشعر، ص 183.

[48].سعد الدّين إبراهيم المصطفى، التّقديم في الضّرورة الشّعريّة، موقع الألوكة الأدبية واللغوية، 2015/04/27، تم الاطلاع بتاريخ: 2023/03/31:https://www.alukah.net/literature_language/0/85689/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%82%D8%AF%D9%8A%D9%85-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%B6%D8%B1%D9%88%D8%B1%D8%A9-/%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B9%D8%B1%D9%8A%D8%A9/

[49]- القزاز القيرواني، ما يجوز للشاعر في الضرورة، ص 35 .

[50].أبو حية النميري (ت 183 هـ)، الموسوعة الشعرية، تم الاطلاع تاريخ، 2023/03/31،https://poetry.dctabudhabi.ae/#/diwan/poem/102431

[51]ابن عصفور الإشبيلي : ضرائر الشعر، ص 192 .

[52].النحاس، أحمد بن محمد، إعراب القرآن، تح، خالد العلي، ط2، دار المعرفة، بيروت، 2008، ص 286.

[53].سيبويه، الكتاب، ج1، ص 176، 177.

[54].أخرجه البخاري (3661) في فضائل الصحابة، و(4640) في التفسير.

[55].ابن مالك، جمال الدين محمد بن عبد الله، شرح التسهيل لابن مالك، تح، عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، ط1، دار هجر، الجيزة، 1990، ص 273.

[56].البيت لأحد أصحاب مصعب بن الزبير؛ وهو يرثيه، وقد ورد في كتاب: ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ط20، دار التراث، القاهرة، 1980،ص 330.

[57].المرجع نفسه، ص 330.

[58].سعد الدين إبراهيم المصطفى، التّقديم في الضّرورة الشّعريّة، تم الاطلاع بتاريخ: 2023/03/31، https://www.alukah.net/literature_language/0/85689/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%82%D8%AF%D9%8A%D9%85-

%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%B6%D8%B1%D9%88%D8%B1%D8%A9-
/%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B9%D8%B1%D9%8A%D8%A9.

[59].الأعشى الكبير، ميمون بن قيس: الديوان، تح، محمد حسين، ط1، مكتبة الآداب بالجماميزت، (د.ت)، ص 123.

[60].ينظر أبو سعيد السيرافي، ضرورة الشعر، ص 136.

[61].الأعشى الكبير، ميمون بن قيس: الديوان، ص 123.

[62].أبو سعيد السيرافي، ضرورة الشعر، ص 147.

[63].المرجع نفسه، ص 147، 148.

[64].سويد بن أبي كاهل اليشكري، الديوان،الموسوعة الشعرية، تم الاطلاع بتاريخ: 2023/03/29،
https://poetry.dctabudhabi.ae/#/poems/261761-%D9%83%D8%A3%D9%86-%D8%B1%D8%AD%D9%84%D9%8A-
%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%B4%D8%BA%D9%88%D8%A7%D8%A1-%D8%AD%D8%A7%D8%AF%D8%B1%D8%A9

[65].ينظر أبو سعيد السيرافي، ضرورة الشعر، ص 208، 209.

[66].محمد عوني عبد الرؤوف، القافية والأصوات اللغوية، مكتبة الخانجي، مصر، (د.ت)، ص 128.

[67].الحطيئة، الديوان،تح، مفيد محمد قميحة، ط1، دار الكتب العلمية .بيروت، 1993، ص 174.

[68].أبو سعيد السيرافي، ضرورة الشعر، ص 145.

[69].إبراهيم بن هرمة ، الديوان،تح، محمد جبار المعيبد، ط1، مطبعة الآداب، العراق، 1969، ص 118.

[70].الشريف الرضي، الديوان،تح، محمود مصطفى حلاوي، ط1، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، 1999، ص 504.

[71].رضا الهاشمي، جبال الشوق،ملتقى الأدباء والمبدعين العرب، 2016/11/06، تم الاطلاع بتاريخ: 2023/03/31،
http://almolltaqa.com/vb/showthread.php?137555-%CC%C8%C7%E1-%C7%E1%D4%E6%DE

[72].الحاتمي، محمد بن الحسن، الرّسالة الموضّحة في ذكر سرقات أبي الطّيب المتنبّي وساقط شعره، تح، محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، 1965، ص 42.

[73].ابن طباطبا، عيار الشّعر، تح، عباس عبد الساتر، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005، ص 123.

[74].ينظر حسين الأقرع، بناء القصيدة في النقد المغربي القديم، ص 64، 83.